المقتطف

الجزء الحادي عشر من السنة الحادية والعشرين

١ نوفمبر (تشرين ٢) سنة ١٨٩٧ الموافق ٦ جمادى الثانية سنة ١٣١٥

ارسطوطاليس الحكيم

Bust of Aristotle.

ابن الاكاسرة الجبابرة ابن القوّاد والابطال ابن اهل الجاه والثروة ابن الذين تغنّى بمدحهم الشعراء وخلدت اعلام مجدهم في الخافقين . نسي اسمهم وعفا رسمهم وامسوا اثرًا بعد عين . وان ذُكروا في صحف التاريخ فلا لنفع يجتنى ولا لعلم يُكتسب بل لانهم استطالوا على ارباب الاقلام فاضطروهم الى تخليد آثارهم . وقرّبوا المتملقين فاطرأوهم ونسبوا اليهم من المحامد ما يبرأ منهم كما هم براء منهُ . اما العلماء الفضلاء فقد عرّت العصور وكرّت الدهور وذكرهم كالمسك يتضوّع وثمرات عقولهم يانعات دانيات وبنات افكارهم يحلل المجد رافلات

واي دليل نقيم على ما تقدَّم ولا نقرأ كتاباً ولا فصلاً في تاريخ العلم والفلسفة واساليب الحضارة والعمران وارتقاء الآداب والفضائل وجهاد الانسان في ميدان الحياة الاَّ ونجد فيهِ ذكر سقراط وافلاطون وارسطوطاليس مئة مرة قبل ان تجد ذكر الاسكندر وقيصر وكسرى مرةً واحدة . وقد ذكرنا طرفاً من سيرة الفيلسوفين الاوَّلين من هؤلاء الثلاثة تمهيداً لما سننشرهُ عن فلسفتهما وحاولنا ذكر شيء من سيرة الفيلسوف الثالث ومرَّ بنا شهران ونحن ندنو من محراب هيكلهِ بالهيبة والوقار نقدِّم رجلاً ونؤخِّر اخرى واخيراً جمعنا السطور التالية في ترجمتهِ وملحقها في فرصة أُخرى بكلام مسهب في فلسفتهِ

ولد ارسطوطاليس في اسطاغيرا من بلاد مقدونية سنة ٣٨٤ قبل المسيح واسم ابيهِ نيقوماخوس وكان طبيباً لأمنطس الثاني ملك مقدونية جد الاسكندر المقدوني . ويتم من والديهِ وهو صغير فاعتنى بهِ بروكسنس وكيل ابيهِ فدرس مبادئ العلم الَّتي تؤهلهُ لصناعة الطب ليخلف اباهُ فيها لشرَّح الحيوانات وعلم كل ما كان معروفاً لدى الأطباء في ذلك العصر ثم اهمل صناعة الطب في طلب العلم والفلسفة فنال منهما حظاً وافرًا لم ينلهُ رجل آخر حتى الآن في مشارق الارض ومغاربها

ولما بلغ الثامنة عشرة من عمرهِ سار الى اثينا مدينة الحكماء في ذلك العصر ولم يكن افلاطون فيها حينئذٍ بل كان في سيراقوسة على ما تقدم في ترجمتهِ فاقام ثلاث سنوات في اثينا يقرأ كتب العلم والفلسفة ويسترشد بالذين يجدهم من العلماء الى ان عاد افلاطون فانتظم في حلقتهِ وتثلمذ لهُ ولخال رأى افلاطون عليهِ نجابة الخابة والذكاء حتى صار يحبهُ عقل مدرستهِ . روى الامير المبشر بن فاتك في كتاب مختار الحكم "ان افلاطون كان يجلس فيستدعي منهُ الكلام فيقول حتى يحضر العقل فاذا حضر ارسطوطاليس قال تكلموا فقد حضر العقل". واقام في اثينا عشرين سنة ولا يعلم من امرهِ فيها سوى انهُ كان يقرأ الفلسفة على افلاطون ثم جعل يعلِّم البلاغة وكان شبان اثينا يقبلون على هذا العلم لكي يحسنوا الخطابة في مجالس القضاء ونوادي الشعب فيصير لهم المقام الرفيع بينهم بما يلقونهُ من العبارات المنمقة اما ارسطوطاليس فصرفهم عن العرض الى الجوهر وعلَّمهم صوغ الكلام حتى يناسب مقتضى الحال

وتوفي افلاطون سنة ٣٤٧ قبل المسيح فرحل ارسطوطاليس عن اثينا إما لانهُ رأى افلاطون خلَّف ابن اخيهِ سبوسبوس على مدرستهِ وكان هو احق بها منهُ او لوقوع ذات البين بين فيلبس المقدوني واهل اثينا. ونزل ضيفاً كريماً على ارمياس صاحب اترنوس وكان

ارمياس هذا من تلامذته ومريديه المعجبين به وقد قرأ عليه علم البلاغة في اثينا فاقام عنده ثلاث سنوات . وقتل ارمياس غيلةً فالتجأ ارسطوطاليس الى مدينة متيلين قصبة جزيرة لسبوس واقام فيها سنتين ثم دعاه الملك فيليس المقدوني ليأتي اليه ويعلم ابنه الاسكندر وكان عمر ارسطوطاليس حينئذٍ ٤٢ سنة وعمر الاسكندر ١٥ سنة فعلمه ثلاث سنوات على الاقل ثم لما سار الاسكندر الى غزو الممالك عاد ارسطوطاليس الى اثينا بعد ان اوصى الاسكندر بالاحتفاظ بالفيلسوف كلستنيس الذي عُلِّمَ معه . وكان ارسطوطاليس قد بلغ السنة الخمسين من عمره فانشأ مدرسة سماها لوقيون نسبة الى هيكل ابُّلو لوقيوس فانها كانت على مقربة منه وأُطلق على تلامذتها اسم الفلاسفة المشائين اما لانه كان يعلمهم ماشياً امامهم ذهاباً وايابا او لأن المكان يسمَّى المشى . ودام على مثل ذلك اثني عشرة سنة هي خيرة ايامه واشهرها . ثم لما توفي الاسكندر عظم شأن خصوم المقدونيين في اثينا فسعوا بارسطوطاليس ونسبوه الى الكفر " فكره ان يبتلي اهل اثينا من امره بمثل الذي ابتلوا في امر سقراط حتى قتلوه " فهرب في اوائل سنة ٣٢٢ الى مدينة خلكس عاصمة جزيرة يوبيا وتوفي بها في خريف تلك السنة بعسر الهضم وعمره ٦٢ سنة . والروايات عن ارسطوطاليس كثيرة ولكن لا يوثق بصحة شيء منها الا ما ذكرناه في هذا الفصل

وتنسب اليه كتب كثيرة بعضها ليس له وبعضها الفه تلامذته مما سمعوه من تعاليمه . واشهر الكتب المنسوبة اليه التي لا جدال في انها له لا السجام فيها ولذلك يرجح انها تعاليق عنَّها ولم يتقنها ثم جمعها تلامذته ورتَّبوها . وزعم استرابون الجغرافي ان اندرونيكوس الرودسي هو اول من جمع كتب ارسطوطاليس ونقحها بعد وفاته بنحو مئتين وخمسين سنة فاذا صحَّ ذلك ولم تكن قد جمعت قبله فيجب ان تكون خالية من الزوائد والشروح والتعاليق . ثم شرحها كثيرون من الكتَّاب في اوائل العصر المسيحي

وقد قسم ارسطوطاليس المعارف كلها إلى عليَّة وعمليَّة وآلية فقسم الفلسفة بحسب ذلك ثلاثة اقسام الفلسفة العليَّة او النظريَّة ويدخل تحتها العلوم الالهية والعلوم التعليميَّة او الرياضيَّة والعلوم الطبيعية . والفلسفة العملية ويدخل تحتها الاديبات (او كما سماها العرب اصلاح اخلاق النفس) وعلم تدبير المنزل او سياسة المنزل وعلم السياسة او سياسة المدن . والفلسفة الآلية وكتاب الانوجن يخصونها بما كتبه عن الصناعات او الفنون كالشعر والتصوير والنقش واما كتَّاب العرب فقالوا انه اراد بها علوم المنطق والشعر والخطابة . قال داود رتشي في ترجمة ارسطوطاليس في انسكلوبيذيا ثنبرس المطبوعة حديثًا انه لم يجعل المنطق من اقسام

الفلسفة بل قال انهُ درس الاساليب ان تقام بها الادلة العلمية

وعلى ذكر كتاب العرب وفلسفة ارسطوطاليس نقول انهُ لما ملك العرب الاقطار ودانت لهم الامصار استخدموا كثيرين من علماء سورية لترجمة كتب الفلسفة اليونانية الى العربية وفي جملتها كتب ارسطوطاليس ثم عكفوا عليها شروحًا كثيرة وعليها اعتمد الاوربيون لما شرعوا في درس فلسفة ارسطوطاليس. وقد نقل صاحب كتاب عيون الانباء عن كتاب التعريف بطبقات الامم "ان ارسطوطاليس انتهت اليهِ فلسفة اليونانيين وهو خاتم حكمائهم وسيد علمائهم وهو اول من خلّص صناعة البرهان من سائر الصناعات المنطقيَّة وصورها بالاشكال الثلاثة وجعلها آلة للعلوم النظرية حتى لُقّب بصاحب المنطق ولهُ في جميع العلوم الفلسفيَّة كتب شريفة كليَّة وجزئية فالجزئية رسائلهُ التي يتعلم منها معنى واحدًا فقط والكلية بعضها تذاكير يتذكر بقراءتها ما قد علم من علمهِ وهي السبعون كتابًا آلتي وضعها لاوفارس. وبعضها تعاليم يتعلم منها ثلاثة اشياء احدها علوم الفلسفة والثاني اعمال الفيلسوف والثالث الآلة المستعملة في علم الفلسفة وغيره من العلوم. فالكتب التي في علوم الفلسفة بعضها في العلوم التعليمية وبعضها في العلوم الطبيعية وبعضها في العلوم الالهيَّة فاما الكتب آلتي في العلوم التعليميَّة فكتابهُ في المناظر وكتابهُ في الخطوط وكتابهُ في الحيل. واما الكتب آلتي في العلوم الطبيعيَّة فمنها كتابهُ المسمى بسمع الكيان وكتاب السماء والعالم وكتاب الكون والفساد وكتاب الآثار العلوية وكتاب الحيوان وكتاب النبات وكتاب النفس وكتاب الحس والمحسوس وكتاب النحة والسقم وكتاب الشباب والهرم. والكتب آلتي في العلوم الالهيَّة فمقالاتهُ الثلاث عشرة آلتي في كتاب ما بعد الطبيعة

والكتب التي في اعمال الفلسفة بعضها في اصلاح اخلاق النفس وبعضها في السياسة من الاولى كتابهُ الكبير إلى ابنهِ وكتابهُ الصغير الى ابنهِ وكتابهُ المسمى اوذيميا وآلتي في السياسة بعضها في سياسة المدن وبعضها في سياسة المنزل

واما الكتب التي في الآلة المستعملة في علوم الفلسفة فهي كتبهُ الثانية المنطقية التي لم يسبقهُ احد ممن علمناهُ الى تأليفها ولا تقدمهُ إلى جمعها وقد ذكر ذلك في آخر الكتاب السادس منها وهو كتاب سوفسطيقا فقال واما صناعة المنطق وبناء السوفسطيقا فلم نجد لها في ما خلا اصلاً متقدمًا نبني عليهِ لكننا وقفنا على ذلك بعد الجهد الشديد والنصب الطويل وهذه الصناعة وان كنا نحن ابتدعناها واخترعناها نقد حصلنا جميعها ورتبنا اصولها ولم نفقد شيئًا مما ينبغي ان يكون موجودًا فيها كما تقدمت اوائل الصناعات لكنها كاملة مستحكمة مثبتة

اسسها مرسومة قواعدها وثيق بنيانها معروفة غاياتها واضحة اعلامها قد قدّمتُ امامها اركاناً تمهيدة ودعائم موطدة فمن عسى ان ترد عليهِ هذه الصناعة بعدنا فليفتخر خلالاً ان وجدهُ فيها وليعتدَّ بما بلغتهُ الكلفة منا اعتدادهُ بالمنة العظيمة واليد الجليلة ومن بلغ جهدهُ بلغ عذرهُ "

وتقل ايضاً عن ابي نصر الفارابي " ان ارسطوطاليس جعل اجزاء المنطق ثمانية كل جزء منها في كتاب (الاول) في قوانين المفردات من المقولات والالفاظ الدالة عليها وهي في الكتاب الملقّب بالعربيّة بالمقولات و باليونانية القاطاغوريامس (والثاني) فيهِ قوانين الالفاظ المركبة من لفظين وهي في الكتاب الملقب بالعربيّة بالعبارة و باليونانية بارميناس (والثالث) في الاقاويل التي تميز بها القياسات المشتركة للصنائع الخمس وهي في الكتاب الملقّب بالعربيّة بالقياس و باليونانية انالوطيقيا الاولى. (والرابع) فيهِ القوانين التي يمتحن بها الاقاويل البرهانية وقوانين الامور التي تلتئم بها الفلسفة وكل ما تصير بهِ افعالها اتم وافضل واكمل وهو بالعربيّة كتاب البرهان و باليونانية انالوطيقيا الثانية. (والخامس) فيهِ القوانين التي تمتحن بها الاقاويل وكيفية السؤال الجدلي والجواب الجدلي و بالجملة قوانين الامور التي تلتئم بها صناعة الجدل وتصير بها افعالها اكمل وافضل وانفذ وهو بالعربيّة كتاب المواضيع الجدليّة و باليونانية طوبيقا. (والسادس) فيهِ قوانين الاشياء التي شأنها ان تغلط عن الحق وتحير واحصى جميع الامور التي يستعملها من قصد التمويه والتفرقة في العلوم والاقاويل ثم من بعدها احصى ما ينبغي ان يتنبه بهِ الاقاويل المغلطة التي يستعملها المتموه وكيف يفتح وباي الاشياء يوقع وكيف يتحرز الانسان ومن اين يغلط في مطلوباته. وهذا الكتاب يسمّى باليونانية سوفسطيقا ومعناهُ الحكمة المموهة. (والسابع) فيهِ القوانين التي يمتحن بها الاقاويل الخطابيّة واصناف الخطب واقاويل البلغاء والخطباء هل هي على مذهب الخطابة ام لا ويحصى فيها جميع الامور التي بها تلتئم صناعة الخطابة ويعرف كيف صنعة الاقاويل الخطابيّة والخطب في فنّ فنّ من الامور و باي الاشياء تصير اجود واكمل وتكون افعالها انفع وابلغ. وهذا الكتاب يسمّى باليونانية الريطوريقا وهي الخطابة. (والثامن) فيهِ القوانين التي يشير بها الى الاشعار واصناف الاقاويل الشعرية المعمولة والتي تعمل الخ وهذا الكتاب يسمى باليونانية فويطيقا وهو كتاب الشعر. فهذه جملة اجزاء المنطق " انتهى

اما كتّاب الافرنج فنصلوا بين الشعر والمنطق كما تقدّم وحسبوا ستةً فقط من كتب ارسطوطاليس في المنطق وهي التي يطلق عليها اسم الاورغانن اي الآلة اما ارسطوطاليس فاطلق على المنطق اسم الانالتيقا اي التحليل. ويتعذر علينا الآن الحكم في هذا الاختلاف وهل الاصابة في جانب كتّاب العرب او كتّاب الافرنج. لكننا نرجح ان في العربيّة كتباً

لارسطوطاليس لا وجود لها باللغات الاوربية او ان الفارابي اطلع على كتب ولا وجود لها الآن

قال السر الكسندر غرانت في الانسكليبذيا البريطانية ان الكتب التسعة عشر التالية نسبتها ثابتة لارسطوطاليس وهي (١) كتاب المواضيع الجدلية Topics (٢) كتاب القياس Analytics (٣) كتاب البرهان Postirior Analytics (٤) كتاب الحكمة المموهة Sophistical Refutation (٥) كتاب صناعة البلاغة Rhetoric (٦) الاديبات او اصلاح اخلاق النفس الذي كتبهُ لابنهِ نيقوماخوس Ethics (٧) كتاب السياسة Politics (٨) كتاب الشعر Poetry (٩) كتاب الطبيعة (١٠) كتاب السماء (١١) كتاب الكون والفساد (١٢) كتاب الآثار العلوية (١٣) كتاب الحيوان (١٤) كتاب النفس (١٥) ملحقات يكتاب النفس في الحس والمحسوس والذكر والتذكر والنوم واليقظة والاحلام والانباء بالغيب وطول العمر وقصره والشباب والهرم والحياة والصحة والتنفس (١٦) كتاب تشريح الحيوانات (١٧) كتاب انتقال الحيوانات (١٨) كتاب تناسل الحيوانات (١٩) ما وراء الطبيعيات (وبعض هذه الكتب مجلدات كثيرة). وقال انهُ تنسب اليهِ كتب اخرى والمرجح انها ليست لهُ وهي (١) كتاب الخطابة Rhetoric. الذي بعث بهِ الى الاسكندر (٢) كتاب الاديبات الابذيمية (٣) كتاب الاديبات الكبرى (٤) كتاب الفضائل والرذائل (٥) كتاب سياسة المنزل والمدينة (٦) كتاب الالوان (٧) كتاب الفراسة (٨) كتاب النبات (٩) كتاب اقوال غريبة (١٠) كتاب الحيل او الميكانيكيات (١١) كتاب الخطوط التي لا ترى (١٢) كتاب عن اكزنوفانس وزينو وغورجياس (١٣) كتاب الكون بعث بهِ الى الاسكندر (١٤) كتاب حركة الحيوانات (١٥) كتاب النفس (١٦) مسائل شتى

وذكر كتاب العرب كتباً أُخرى نقلاً عن بطليوس. ومنها كتاب سياسة المدن فقد قيل ان ارسطوطاليس ذكر فيهِ نظام مئة واحدى وسبعين مدينة كبيرة والمعروف عند الافرنج انهُ ذكر فيهِ نظام ١٥٨ مدينة فقط

ولما مات ارسطوطاليس وُهبت كتبهُ لتلميذهِ ثيوفراستوس وتوفي ثيوفراستوس بعدهُ بخمس وثلاثين سنة فوهبها لتلميذ آخر من الفلاسفة المشائين اسمهُ نليوس فسار بها الى بيتهِ في برالاناطول وخبأها ورثتهُ في تبو حفظاً لها من ملك برغاموس فانهُ كان يجمع الكتب لمكتبتهِ الشهيرة. وظلت مخبأة ١٨٧ سنة، ثم استخرجت من مخبإها سنة ١٠٠ قبل المسيح وبيعت الى رجل غني اسمهُ ابليكون فسار بها الى اثينا. ولما فتح سلاً القائد الروماني مدينة اثينا سنة ٨٦ قبل المسيح اتى بمكتبة ابليكون الى رومية فرتبها تيرانيون صديق شيشرون ونقحها اندرونيكوس

الرومي وبوّبها وكان ذلك سنة ٥٠ قبل المسيح

وقد ذكرنا في الجزء العاشر من المجلد الخامس عشر من المقتطف ان الدكتور ولستين اكتشف قبر ارسطوطاليس في خرائب مدينة ارتريا ولا بأس بان نعيد هنا بعض ما ذكرناه هناك وهو

"كشفت على نصف ساعة من ارتريا جداراً من الرخام البديع تحت الارض فظننتهُ في اول الامر جانباً من هيكل ارطاميس ولكني رأيت انهُ لا يمتد على جانب الطريق الاَّ ثلاثة عشر متراً ثم ينعطف من طرفيهِ الى الداخل ولا تمتدُّ عطفتاهُ من كل ناحية الاَّ نحو متر ونصف ولذلك فهو سور قبر عائلة لا هيكل وهو ابدع صنعاً من كل القبور الَّتي كُشفت في ارتريا حتى الآن . وفيهِ حجارة كبيرة من الرخام الابيض والظاهر انها كانت قاعدة لبناء بديع لم يبقَ منهُ الآن عين ولا اثر وتحتها حجارة كليَّة قائمة على اساس يوناني وطول كل حجر من حجارة الرخام والحجارة الكلية متر ونصف . والبناء من نوع البناء الذي كان شائعاً في القرن الرابع قبل الميلاد . ووجدنا داخل هذا السور ناووساً كبيراً فيهِ جثة مغطاة بورق الذهب وفي اصبع الجثة خاتم من الذهب عليهِ صورة اسد رابض وعلى رأسهِ نجم وعند قدميهِ ساعتة . ثم وجدنا خمسة نواويس اخرى وناووساً سادساً في الجهة الشرقية الجنوبية وجدت فيهِ سبعة اكاليل من الذهب الابريز وثلاثة معدنيًّا مبرنيًّا ومشنوقاً كالاقلام العادية وثلاثين آخرين مما يكتب بهِ على الصفائح المغشاة بالشمع وثمانيل صغيرة كثيرة منها واحد في شكل فيلسوف واقف متكتف اليدين فخطر لي حينئذٍ ان هذا القبر قد يكون قبر الفيلسوف ارسطوطاليس لان كرستودورس يقول انهُ شاهد تمثالهُ في القسطنطينيَّة واقفاً متكتف اليدين ولكنهُ لم يكن الاَّ خاطر سانح . وفي اليوم التالي لبشنا قبراً آخر بجانب هذا القبر فوجدنا عليهِ قطعة من الرخام عليها هاتان الكلمتان بيوث ارسطوطالر . وقد اجمع العارفون بالكتابات القديمة ان هذه الكتابة قديمة من القرن الثالث قبل المسيح او اقدم منهُ . فالقبر قبر واحد من عائلة ارسطوطاليس . والمحققون على ان ارسطوطاليس ترك اثينا سنة ٣٢٣ قبل الميلاد واتى الى خلكس وفي بجانب ارتريا وكان لهُ فيها عقار وتوفي فيها تلك السنة

وخلاصة ما تقدم ان هذا المدفن الكبير من مدافن عائلة عظيمة وفيهِ قبر رجل عظيم كما يظهر من التيجان الذهبيَّة السبعة الَّتي وجدت فيهِ وان هذا الرجل كان عالماً والارجح انهُ كان فيلسوفاً من وجود الاقلام في قبرهِ ومن وجود تمثال ارسطوطاليس فيهِ . وان اسم ارسطوطاليس موجود بين اسماء المدفونين في هذا المدفن . واخيراً ان ارسطوطاليس مات في هذا المكان وكان لهُ فيهِ عقار والارجح انهُ دُفن فيهِ"